# (٢٦) أحمد بن حرب[١]

**ذكر الشيخ الأعظم أحمد بن حرب روّح الله روحه ويزداد فتوحه:**

فضائله رحمه الله كثيرةٌ، وكان في الزهد والورع عديمَ النظير، وفي العبادة عديمَ المثل مُقدّمًا، والأصحابُ مُتّفقونَ على جلالة قدره، ونباهةِ شأنه.

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله وصيةً إلى أصحابه: أن ادفنوني تحتَ أقدامِ أحمدَ بنِ حرب.

وفي التقوى كان إلى حدٍّ شوت أمُّه دجاجةً، وقدَّمَتْ إليه، وقالت: كلْ منها؛ فإنّي ربّيتُها وليس فيها شبهةٌ بوجه. فقال أحمد: إنّي رأيتُها على سطحِ جارٍ لنا، والتقطتْ حبّةً منه، وصاحبُ البيتِ من الأجناد. ولم يأكل.

وكان مشغولاً بالذكر، مُستغرقًا فيه إلى أن جاء إليه مُزيّنٌ، وأرادَ أن يُزيّنَ شواربَه، وهو لم يسكتْ عن الذكر، فقال له المُزيّنُ: اسكتْ، لأقصَّ شاربَكَ. قال: لا أتركُ شُغلي لأجل شغلك. ولم يكن يُزيّنُ شاربَه إلا يقطع شفته لذلك

نقل أن صديقًا له كتب إليه كتابًا، ومضى زمانٌ ولم يجد فُرصةً ليكتبَ الجواب، حتى يومًا بين الأذان والإقامة قال لشخصٍ: اكتبْ جوابَ كتابِ ذلك الصديق كذا وكذا، واذكرْ فيه أن لا يكتبَ إلينا كتابًا؛ إذ لا فراغَ لنا لأن نكتبَ الجواب، واشتغلْ بالحقِّ، فإنَّ الخلقَ لا يفتح منهم شي، والسلام.

نقل أنه رحمه الله كان يعلّمُ ابنَه التوكُّلَ وكان طفلاً، فقال: إذا أردتَ طعامًا أو شيئًا آخرَ، فاذهبْ إلى تحت تلك الرَّوْزَنة[٢]، وقل: اللهم، أُريد الشيءَ

---

(١) الجرح والتعديل ٢/ ٤٩، تاريخ بغداد ٥/ ١٩٠، سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٢، ميزان الاعتدال ١/ ٨٩، لسان الميزان ١/ ١٤٩، شذرات الذهب ٢/ ٨٠.

(٢) الرَّوْزَنة: الكوة غير النافذة.

الفلاني، فأعطني ودبّره. إن ما يشتهيه الطفل ويطلبُه يُرمى إليه من الروزنة في الساعة، ليصيرَ الطفلُ راسخًا في مقام التوكّل، والابنُ كان يعتمدُ على هذا، وأيُّ شيءٍ كان يطلب من الله تعالى، ويحصلُ مطلوبُه بتوفيقِ الله تعالى، حتى أنَّ أهل البيت كلَّهم غابوا، ولم يكن أحدٌ هناك حاضرًا، وغلب الجوعُ عليه، فذهبَ على عادته إلى حذاء الروزنة، وقال: إلهي، أطلبُ الخبزَ والشيءَ الفلاني. ففي الساعة رُمي من الروزنة جميعُ ما طلب، فحضر أهلُ البيت، ووجدوه مشغولاً بالأكل، قالوا له: من أين حصلَ لك هذا؟ قال: من مكان يعطيني كلّ يوم. فعلموا أن سُلِّمَ له مقامُ التوكل.

نقل أن شخصًا من الأكابر قال: مررتُ على مجلس الشيخ أحمد بن حرب رحمه الله، فسمعتُ من لسانِهِ حديثًا، ظهرَ في الساعة في قلبي نورُ الشمس، والآن مضى عليَّ أربعون سنة وأنا بعدُ في ذلك الذوقِ، وكلُّ لحظةٍ في الازدياد

نقل أنه رأى يحيى بن يحيى يأكل عنبًا، أُتي به إليه من كرمه، فقال له: لمَ لا تأكلُ من هذا العنب؟! قال: هذا من كرمي. قال أحمد: نعم، ولكن في تلك الضيعة التي كرمُكُ فيها ماء وقف يومًا من الأسبوع، وأهلُ القرية لا يُراعون ذلك، وكيف يحلُّ لك على هذا أكلُ العنب؟ فترك يحيى أكلَ العنب بكلامه، وتابَ، ولم يأكل من ذلك العنب إلى آخر عمره.

نقل أنه كان له صومعةٌ، إذا أراد الخلوة يمشي إليها، ويعبدُ الله فيها، ويُحيي الليلَ. كان فيها ليلةً، إذ جاء مطرٌ كثير، وتشوّشَ قلبُه من جانب بيته، هل دخل فيه ماءُ المطر أم لا؟ فسمع صوتًا: يا أحمد، ما يصلح منك وجهته إلى البيت[1]، قم أنت إليه، واذهب إلى البيت، وماذا تعمل هنا أراد به القلب. فتاب من ساعته، ورجع إلى الله تعالى.

نقل أنَّ ساداتِ نيسابور زاروه في بعض الأحيان، وكان له ابنٌ مُدمنٌ للخمر، مفسدٌ مشغول بالزمر والملاهي، فدخلَ البيتَ، وعبر، ولم يلتفتْ إلى

(١) في (أ): منك واجهنه أي القلب إلى البيت.

هؤلاء الجماعة، فتغيَّرتِ الجماعةُ من ذلك، وأنكروه، فقال أحمد: اعذروه، فأنا أكلتُ طعامًا جيء به إلينا من بيتِ بعض الجيران، واتّفقَ في ذلك صحبةٌ مع الأهل، وهذا الولد صارَ من تلك النطفة، وبعد ذلك تفحّصنا، فكان ذلك الطعامُ من عُرس، كان في بيتِ شخصٍ من غلمان[1] السلطان

نقل أنه كان له جارٌ مجوسيٌّ اسمه بهرام، وكان له شريكٌ سيَّرَهُ إلى التجارة مع مالٍ كثيرٍ، وقد نُهبَ في الطريق، فسمعَ أحمدُ، وقال لأصحابه: قوموا نمشِ إلى بهرام، ونسأل عن حاله ونسلّيهِ؛ فإن له علينا حقَّ الجوار، ووقع له حادثةٌ. فلمّا وصلوا إلى باب داره، استقبلهم المجوسيُّ، وقبّلَ يده، وأعزّه وأكرمه مع أصحابه، وأجلسهم، وخطر بباله أنَّ الشيخ ربّما يكون جائعًا، إذ كان الطعام غاليًا حينئذٍ، وأرادَ أن يأتي بطعامٍ إليهم، وعلمَ الشيخُ بالفِراسة، وقال: ما جئنا إليك إلاّ لنطيِّبَ خاطرك، إذ سمعنا ما نُهب من مالك مع الشريك. قال المجوسيُّ: نعم، ولكن يجبُ عليَّ شكرُ الله على ثلاث نعم، الأولى نهبوا منّي وأنا ما نَهبتُ من غيري. والثانية أنّه نُهبَ النصفُ وبقي عندي النصف. والثالثة أنّ المالَ وإنْ ذهبَ فالدَّينُ باقٍ. فهذا الكلام أعجبَ الشيخَ، وقال لأصحابه: انسخوه، إذ تفوحُ منه رائحةُ الإسلام. فالتفت إليه الشيخ، وقال: يا بهرام، لمَ تعبدُ هذه النار؟ قال: لئلا تحرقني، وأيضًا أعطيتُها حطبًا كثيرًا، فكيف تَغدرُ معي؟ وأيضًا لتُوصلني إلى الله تعالى. قال الشيخ: غلطتَ غلطًا عظيمًا؛ لأنَّ النارَ ضعيفةٌ جاهلة، ولا وفاءَ لها، وظنُّكَ فيها كاذبٌ وباطل، أما ضعفُها فلأنَّ طفلاً إن أراقَ عليها الماءَ أو يرمي عليها ترابًا تنطفىء وتنعدمُ، فالشيءُ الذي ضعفُهُ بهذه المثابة كيف يُوصلُكَ إلى الجبار القوي؟ وهو لا يقدرُ أن يمنعَ عن نفسه حفنةَ تراب أو قطرةَ ماءٍ، فكيف يدفعُ عنك العذاب؟ وأما جهلُها فلأنها لا تفرّقُ بين المِسك والنجاسة، فتحرقهما على السواء إن أُلقيا فيها، وأمّا عدمُ وفائها وغدرها فظاهرٌ لأنّك تعبدها الآن، وقد عبدتَها سبعين سنة، وأنا ما عبدتُها قطُّ، تعالَ نُدخل فيها أيدينا، ثم ننظر أيُّنا تحرق؟ أو هل تراعي جانبك

(١) في (ب) شخص من علماء السلطان.

أم لا؟ فكلمات الشيخ أثَّرتْ في قلب المجوسي، وقال: أسأل منك أربع مسائل، فإن أجبتَ أؤمن. قال الشيخ: اذكر. فقال المجوسي: لم خلقَ اللهُ الخلقَ؟ ولِمَ رزقَهم؟ ولم يُميتهم؟ وإذا أماتهم لِمَ يُحييهم؟ قال الشيخ رحمه الله: خلقهم ليعبدوه، ورزقَهم ليعرفوه، ويُميتهم ليعترفوا بأُلوهيته ومُلكِهِ وقهرِه، ويُحييهم ليعرفوه بالقدرة والعلم. فلمَّا سمعَ بهرام قال: اعرضْ عليَّ الإسلام. فقال الشيخ: قل: أشهدُ أن لا إله إلاّ الله وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسوله. فلمّا تمَّ إيمانُهُ، شهقَ الشيخُ، وغُشي عليه، ولمّا أفاقَ قال: يا شيخُ، ما سببُ الشهقة؟ قال: حين رفعتُ المُسبِّحَةَ بكلمة التوحيد نُودي في سرِّي: يا أحمد، آمن بهرام بعد سبعين سنةً عبرَتْ عمرَهُ في عبادة النار، وحسنَتْ حالُه، وصارت عاقبتُهُ محمودةً، وأنت تعبدُ الله تعالى، وعبدتَه ثمانين سنة، وليس آخرُ أمرك معلومًا.

نقل أنه ما نام ليلةً من الليالي، فقالوا له: استرحْ لحظةً. فقال: كيف يستريحُ من تُزيَّنُ الجنةُ فوقه، وتُسعّرُ النارُ تحته، وهو لا يعلم أنّه من أهلِ تلك أو هذه، فهو بينهما، كيف ينام؟!

**من كلامه** أنه قال: ليتني أعلمُ من هو عدوّي ويغتابني؛ لأبعثَ له الدَّراهم والدنانير؛ فإنّه يعملُ لي، فلا أقلَّ من أن يُصرفَ عليه من مالي.

وكان يقول رحمه الله: اعبدوا الله ما استطعتم، واجتهدوا في أن لا تغرَّكم الدنيا، ثم يبتليكم اللهُ بما ابتلي من قبلكم.

اللهم، ارضَ عنه وعنَّا بكرمك يا أكرم الأكرمين.

* * *